المُذَكَّر

المُذَكَّر من مضعَّف العين ذكَّر، وذكَّر الشيء: جعله ذكرًا أو أزال عنه الأنوثة، وذكَّر اللفظ: أزال منه علامة التأنيث، وقد تناول العلماء مفهوم المؤنث وأنواعه وعلاماته ووجوبه وجوازه وامتناعه وتغليب المذكر عليه، بيد أن بعضهم أوجز القول فى المذكر، وبعضهم ترك الحديث عنه، وهذا مرجعه إلى أنه الشائع فى الكلام والأصل فيه، وأن المؤنث فرع عليه؛ لخروجه عليه بزيادة فى اللفظ أو بتخصيص قرينة أو بتعيين لفظ له، والمذكر أخف من المؤنث؛ لأنه أسبق، فزيدت فيه علامة التأنيث، وليست للتذكير علامة.

والمذكر فى الإنسان والحيوان صاحب الذكورة وهى خلاف الأنوثة، وهى شمائل بالمذكر فى الإنسان والحيوان، ومن ثم ليست فى غيرهما بحقيقة، فما لم يكن إنساناً أو حيواناً كان التذكير فيه باعتبار لفظه الذى أشبه لفظ المذكر.

واكتفى بعض العلماء بأن يعرفوا المذكر بأنه ضد المؤنث، وبعض المعاجم الحديثة نقلت ذلك عن القدماء، ويقولون: الذكر خلاف الأنثى، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾[آل عمران:٣٦][1].

وقال بعضهم: المذكر ما خلا من العلامات الثلاث التاء والألف والياء[2]، وهذا لا يستوفى مفهوم المذكر، وأرى أن المذكر ما تحققت فيه شمائل الذكورة التى تميزه عن المؤنث، وهذا يقابل مفهوم المؤنث الذى يعرف بأعرف خصائصه، فقالوا: المؤنث ما يلد أو يبيض أو ما له فرج، والفرج فى اللغة أصله للمؤنث، ثم أطلق

((1) ارجع إلى: اللسان، مادة ذكر، ولم أجد فيه تعريفاً له، والمفردات للراغب، مكتبة الأنجلو: ذكر: " والذكر ضد الأنثى "، ص٢٦٠، والقاموس المحيط، للفيروز آبادى، وجاء فى المعجم الوسيط: المذكر ضد المؤنث، ذكر، جـ١/٣٢٥، ولم يعرفه ابن الحاجب صاحب الكافية، ولم يذكره الاستراباذى فى شرحه الكافية. ارجع إلى: شرح كافية ابن الحاجب، لرضى الدين ابن الحاجب، المكتبة التوفيقية، جـ٣/٣٨٩.

(2) الكليات، الكفوى، تحقيق عدنان والمصرى، ط ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، ص٦٩٨.

على قُبُل الرجل تغليباً[1]. واتفق العلماء على أن المذكر أصل والمؤنث فرع عليه، ومن ثم لم يحتج المذكر إلى علامة؛ لأنه يفهم عند الإطلاق؛ لأنه الأصل، والتأنيث ثانٍ عليه، ومن ثم وضعت له علامة وخصص له بعض الألفاظ، والدليل على أن المذكر أصل أمران:

الأول – أن بعض الألفاظ يستوى فيها المذكر والمؤنث، وسوف نبين ذلك.

والثانى – أن المؤنث وضعت له علامة تميزه عن المذكر، ليعرف بها وهى زائدة فى اللفظ[2]، والمذكر ليست له علامة، فهو أخف من المؤنث فى الكلام.

والأصل فى الصفات التذكير بدليل زيادة علامة التأنيث فى وصف المؤنث نحو: قائمة، نائمة، وذلك للتفريق بين المذكر والمؤنث، وكل ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للمذكر، فإنه لا يدخل فيه تاء التأنيث نحو: امرأة حائض وعاقر وطالق وطامث، لا تلحق بها التاء؛ لأنها لا تكون إلا للمؤنث فانتفى اللبس. وتبقى التاء كذلك فيما استوى فيه المذكر والمؤنث نحو: علاّمة وربعة وهمزة ولُمزة، وتبقى التاء فى المثنى نحو: بقرتان وتمرتان وقائمتان، ثبتت التاء؛ لأنها لو حذفت التبس بتثنية المذكر، فالمثنى المذكر والمؤنث يتساويان في علامة التثنية خلافاً للجمع فلجمع الذكور علامة تخالف جمع المؤنث، وتزاد التاء فى الأفعال المسندة إلى مؤنث حقيقى؛ لتكون دليلاً على أن الفاعل مؤنث، وإن كان خلواً من علامة التأنيث كالمؤنث المعنوى نحو: قامت سعاد، تزاد فى المعنوى عند التصغير، أذينة، هنيدة.

وتحذف للتنبيه على الفاعل المذكر الذى تسمى بلفظ المؤنث نحو: مع قام

---

(1) شرح المفصل، ابن يعيش، المكتبة التوفيقية، م٢/٤٩٨، والقائل الزمخشرى، والمذكر والمؤنث، السجستانى، تحقيق حاتم الضامن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١/ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ص٣٦. الفرج الشق، وغلب في القُبُل والدُّبُر معاً .

(2) ارجع إلى: شرح المفصل، م٢/٤٩٨، والمذكر والمؤنث، السجستانى، ص٣٦.

حمزة، ومات طلحة، فإن وقع لفظ المذكر علماً لمؤنث وجب تأنيث الفعل مع نحو: نجاح وسماح وإحسان، يقال: قامت إحسان، ونامت سماح، التأنيث فيها واجب؛ ليكون دليلاً على أن اللفظ مؤنث، فقد خص به في التسمية وليست على الأصل المذكر، خلافاً لقولنا: قام حمزة، ونام طلحة، يجب التذكير؛ ليعرف أنه لمذكر، وإحسان وإنعام ونجاح مصادر وصارت أعلاماً لمذكر ومؤنث، ويجوز تذكير المصدر وتأنيثه، ولكنه يلزم التأنيث إن تسمى به مؤنث .

فما كان لمؤنث تزاد فى فعله التاء، وما كان لمذكر لا تلحق بفعله التاء، وهذا عام فى الألفاظ التى تعم أفراد الجنس نحو: نملة ونحلة وعنكبوت وعقرب وحمامة.

فما كان منها لمذكر عين له لفظ المذكر، نقول: حمامة ذكر، وما كان لمؤنث عين له لفظ المؤنث: حمامة أنثى، وقد ذهب أبو حنيفة إلى أن نملة سليمان كانت أنثى، قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾[النمل:١٨](١)، والعلماء أجازوا الوجهين، ورجحوا التأنيث مراعاة للفظ، وسنبين ذلك فى موضعه.

والمذكر يراد به المذكر فى الأعيان والمعانى والألفاظ، والتذكير يراد به نزع ما يدل على التأنيث، والمؤنث خلافه يكون بزيادة فى لفظ المذكر للدلالة على تأنيثه، وهذا من قولهم :

ذَكَّر الكلمة أو أَنَّثها، وأذكرت المرأة: ولدت ذكراً فهى مُذْكر، وأذكرت المرأة تشبهت بالذكر، وامرأة مِذْكَار: تلد الذكور، خلاف مِئْنَاث(٢).

وقد وقع اختيارنا على " المذكر والمؤنث " لأننا بصدد بحث التذكير والتأنيث فى الألفاظ، وتأسينا فى ذلك بعلماء الأمة قديماً وحديثاً.

---

(1) الكليات، أبو البقاء الكفوى.

(2) ارجع إلى: لسان العرب: ذكر، والقاموس المحيط: ذكر.